كتب

عن دار ميزوبوتاميا للنشر والتوزيع ببغداد، صدرت للشاعر العراقي أمير الحلاج مجموعة شعرية بعنوان «الدائرة خارج الشرنقة»، وتنتمي قصائد المجموعة إلى قصيدة النثر.

تستضيف دار العين للنشر مناقشة ديوان «الجميلة سوف تأتي»، للشاعر والكاتب والمترجم أسامة جاد، وذلك الأحد 15 مايو الجاري، بمقر الدار.

«رأس التمثال» رواية ترصد تغير العراق من سرداب مقبرة

● حسن الفرطوسي يكتب معاناة العراقيين دون أن يعترف بالصور النمطية التي يقدمها الآخرون

لا توجد حقيقة واحدة أو رؤية واحدة للعالم، فأحادية الرؤية والطرح هي من سمات الدكتاتوريات التي تسلط معاييرها الأيديولوجية والقمع وغيرهما من أجل فرضها، ولكن هذه الدكتاتوريات انتقلت من السياسة إلى الأدب أيضا حيث هناك من الكتاب والمبدعين من يتبنون نظرة أحادية متصلبة ترفض أيّ طرح مغاير أو مختلف سواء أكان الأمر متعلقا بالمضمون أم بالتقنية. لذا فإن ينجح حسن الفرطوسي في كتابة رواية عن عراق ما بعد 2003 بوجهة نظر مخالفة لما راج، لهو أمر بالغ الدقة.

تمثال يتحدث عن حال العراق

سعد عزيز دحام

❑ في روايته الجديدة "رأس التمثال" تمكن الروائي العراقي حسن الفرطوسي من تسريب صورة بانورامية لما حدث بعد سقوط النظام العراقي السابق في التاسع من أبريل عام 2003، تلك الصورة المركبة التي جمع فيها الأسباب في حضرة النتائج، أو النتيجة الواضحة وإن كانت تقيم في أحد سراديب مقبرة النجف.

الرواية ترصد تداعيات الانهيار المريع الذي أعقب سقوط النظام العراقي السابق في التاسع من أبريل 2003، حيث تتناول حكاية بائع خضار متجول احتفظ برأس أكبر تماثيل الرئيس السابق صدام حسين، بعد أن أوهمه أحدهم بأنه يمثل قيمة فنية نفيسة سيجني من ورائها الكثير من المال.

وانطلاقا من تلك الواقعة تتغير حياة بطل الرواية مع تنقله من مكان إلى آخر لينتهي به المطاف إلى أن يكون أحد كبار رجال الدين المنضوين تحت تشكيلات الميليشيات المسلحة التي تفشت خلال سنوات ما بعد السقوط.

حبات مسبحة

مكونات الصورة العراقية التي تقدمها الرواية الصادرة عن دار "نوفا بلس" في الكويت، عن شخوص تنتمي معاناتهم إلى حقب متعددة، أحدهم أمير الرومانسي، بترت ساقه خلال الحرب مع إيران في عقد الثمانينات من القرن العشرين، ودفنها في القبر المخصص له ضمن قبور سرداب العائلة، واعتاد على زيارتها كلما شدّه الحنين إليها، وهذا السرداب هو ذاته مكان الرواية الذي جمع بقية الشخوص، ومن بينهم أيضا شخصية فاضل الدنماركي، الشخصية الغرائبية وصاحب تجربة التسوّل عبر العزف على آلة الناي، والذي عاد إلى وطنه بعد غربة طويلة في بلدان المهجر، وقد اتضح في نهاية الرواية أن هذه الشخصية مستوحاة من شخصية الشاعر العراقي فاضل الخياط المقيم حاليا في أستراليا.

أما شخصية رحمان المصوّر (الشمسي) والتي يبدو أنها شخصية حقيقية أيضا ومعروفة في مدينة الشطرة، جنوب العراق (مسقط رأس الكاتب) فقد عاشت تجربة التشرّد والترحال انطلاقا من السؤال الوجودي الذي بدأ يشاغب رحمان ويستحوذ على تفكيره حول ما إذا كانت الحقيقة تكمن في الصورة المقلوبة داخل صندوق الكاميرا الخشبي، أم في الحياة التي يعيشها في الواقع؟

هذه الشخصيات كلها منحها الكاتب مساحات في روي الأحداث بحرفية عالية بما يتناسب مع أهميتها الدرامية، كما حدد مساحة شخصيات أخرى أقل أهمية كشخصية جلّشان، المرأة الغامضة التي جاءت كمعادل موضوعي لدور رأس تمثال الرئيس المخلوع، وكسبب في تغيير حياة بطل الرواية الشيخ ناصر وكذلك شخصية محمود بائع الشاي الذي يتخذ من السرداب مقرّ سكن دائم، وشخصية محسن المالح البعثي التائب بعد أن اتخذ من الحزب عقيدة أخلص لها سنوات طوالا، وكذلك شخصية مفيد عباس الذي يجمع بين حسّ الفكاهة والظرافة مع أصدقائه وبين التعامل الجاد مع مهنته كصاحب متجر للملابس الرجالية.

تلك الشخصيات جمعها الكاتب الفرطوسي كما لو أنها حبات مسبحة يربطها بخيط الشخصية المحورية، الشيخ ناصر الذي بدا واهنا مضطربا في بداية الرواية، لينتهي به المطاف كزعيم لميليشيا دينية ينفذ أنواع الجرائم لصالح من يدفع له الثمن.

كاتب محايد

ومن اللافت للانتباه أن الكاتب بدا محايدا إلى حدّ ما في "محاكمة" حقبة النظام السابق من خلال طرح شخصية مثل محسن المالح، كصاحب تجربة طويلة بين صفوف حزب البعث، حيث كان يتحدث مع صديقه رحمان المصور في لحظة صفاء حول رؤيته بشأن المتغيرات السياسية التي حدثت خلال فترة حكم الحزب، فيقول "كنت ومازلت فرحا في خلاص البلاد من النظام إياه، لكني فهمت مبكرا طبيعة المرحلة القادمة، حدست حجم ونوع العنف القادم، عرفت أن الناس العزّل والأكثر سلميّة سيكونون وقودا مجانيا لهذه الحرب اللعينة، لذلك قررت ألا أكون هدفا ساكنا لمراهق أخرق في زمن يكون فيه الانفلات سيّد المشهد.. أحداث الـ91 كانت انتفاضة تتسم في بعض جوانبها بالنبل والبطولة، أما ما حدث في 2003 فهي فوضى تتسم بالخسّة، ذلك ما دفعني إلى هجر المدينة والقدوم مع عائلتي إلى هنا، حيث لا يعرفني أحد".

وتلك إشارة عابرة على وجود بعض البعثيين الذين من الممكن أن نصنفهم ضمن خانة الوطنيين من أصحاب النوايا الحسنة، وهذا تحوّل ملحوظ في تجربة الرواية العراقية ما بعد الـ2003 التي كانت في مجملها تتبنى فكرة تجريم البعث بشكل يكاد يكون مطلقا.

وكما حرص الفرطوسي على الاعتناء بحركة شخوصه في روايتيه السابقتين "سيد القوارير" الصادرة عن الدار العربية للعلوم ناشرون، و"عشبة الملائكة" الصادرة عن دار الفارابي، فقد جاءت رواية "رأس التمثال" وفق بناء روائي متوازن ومحسوب بدقة ونمط سردي اعتنى بالتفاصيل وتمكن من إيصال الرسائل التي يراد تمريرها، وقد تكون إحداها ما جاء في الغلاف الخلفي للرواية كمقتبس يصف مشاعر بطل الرواية الشيخ ناصر إزاء رسالة تسلمها من المرأة الغامضة جلّشان ذات التوجهات الصوفية، جاء فيها "أنا لا أؤمن بناسوت الإمام المنتظر، لا أؤمن بأنه سيظهر على هيئة إنسان، بل هو مرحلة زمنية وحالة متقدمة من النمو والنضج الفكري ومصالحة شفافة مع الزمن تمرّ بها الأمة، إنه صحبة الزمان والتماهي معه، هذا هو مفهوم المنقذ المنتظر بالنسبة لي".

> ◄ الرواية جاءت وفق بناء روائي متوازن ومحسوب بدقة ونمط سردي اعتنى بالتفاصيل وتمكن من إيصال الرسائل

> «رأس التمثال» تقدم مكونات الصورة العراقية التي تشكلها شخصيات تنتمي معاناتها إلى حقب متعددة

وقد أرعبه ما جاء في الرسالة إلى حدّ عزوفه عن الردّ عليها، وتحاشي قراءتها ثانية، فخبأها بعيدا، في بطانة حقيبته.. لم يكن مستعدا للاصطدام بفكرة ثقيلة من هذا النوع، كما لم يكن قادرا على الفكاك من أسر أنثى بكل هذا السحر.

نلاحظ هنا رغبة عميقة من الرواية في فك التابوهات والدخول إلى عوالم مختلفة بكل شفافية وصدق، إذ لا تعترف بالصور النمطية التي يقدمها الآخرون على أنها الحقيقة الواحدة، كل ذلك بأسلوب سردي مقتضب ولغة متماسكة بعيدة عن الإسهاب في إظهار المشاعر المرافقة للأحداث، كما تبنى الكاتب طريقة وصف المكان من خلال حركة الشخوص متجنبا الوصف الفوتوغرافي التقليدي.

جيل سير، البدوي

حسن الوزاني
كاتب من المغرب

❑ يصرّ الشاعر الكندي جيل سير على الاحتفاظ ببدويته. ويجد ذلك عاديا لكونه ولد وعاش مرحلة كبيرة من حياته بالبادية، وذلك في وسط عائلي جد فقير. وإن كان ذلك سببا في تعثر مساره التعليمي، غير أن ذلك لم يحل دون عشقه المبكر لعالم الأدب والقراءة، خصوصا خلال مرحلة الدراسة الجامعية بجامعة مونتريال، التي منحتنه فرصةَ اللقاء بالتجارب الأدبية الأساسية. وكان ذلك عاملا من ضمن عوامل أخرى التي قادته إلى مجال الكتابة. بينما نشر كتابه الأول "أرض خفية" وكان حينها على عتبة الأربعينات من عمره. غير أنه سيستطيع أن يراكم بعد ذلك حوالي عشرين عملا في مجالات الكتابة الشعرية والفنية والترجمة. لعل من بينها "هذا المكان"، "فواكه وحدود"، "أحلم بالخطو"، و"اثنا عشر شاعرا من كوريا".

دخلَ جيل سير مجال الكتابة والنشر خلال السبعينات. وشكل ذلك أمرا هاما بالنسبة له، اعتبارا لطبيعة المرحلة، حيث اتسم المشهد الشعري بالكيبك خلالها بتعدد وتباين تجاربه. ويعتبر جيل سير السبعينات كلحظة بداية تراجع "قصيدة الوطن" التي كانت تحظى بموقع خاص. بينما ستعرف الفترة اهتماما ملحوظا باللغة الشعبية، وذلك بالتساوق مع الاكتشافات الطلائعية والتنظيرية التي كانت تبحث من خلال اللغة عن هامش لتأسيس نقد للثقافة وللمجتمع. وهو الأمر الذي انتظم، حسب جيل سير، في إطار عدد من التمثلات، سواء المرتبطة منها بالثقافات المضادة أو بالنزعات الصوفية أو المثالية.

جمعت جيل سير تجارب فنية، على مستوى أعماله الشعرية، مع العديد من الفنانين التشكيليين كفيفان بروست وسيزار بيرونغيي وفرانسوا- ماري برتران. وذلك لإيمانه بكون الشعر يستطيع بفضل هذا اللقاء أن يخلق علاقات تقارب أو تضاد مع الفنون البصرية، معتبرا أن ما يربطه بالفنون البصرية يكمن بالأساس في سؤال الفضاء. وهو سؤال يبدو مهما داخل الكتابة، بالإضافة بالطبع إلى سؤال الزمن. وامتدادا لهذا الاختيار الفني، نشر جيل سير أغلب أعماله في طبعات فاخرة وفي نسخ محدودة، لا تتجاوز المئة، موقعة من طرفه.

تعرفت إلى جيل سير، قبل سنوات، بمدينته تروا- رفيير بكندا. دعاني إلى جولة بالمدينة، مقترحا أن نبدأها بزيارة مقر اتحاد كتاب كندا، منبها إياي إلى أنه يفعل ذلك من أجلي لأنه لا يؤمن بالتجمعات الأدبية. بعد شهر من ذلك، سأطلب منه كتابة شهادة عن العدوان الإسرائيلي على لبنان سنة 2006، ضمن ملف ضمّ شهادات شعراء من العالم. ممّا كتبه جيل سير "كان شبان منطقة الكيبك، سنة 1970، يتطوعون للهجرة إلى إسرائيل. الآن أظنهم سيغيرون الوجهة إلى لبنان. الوضع تغيّر. خرجتُ أنا وزوجتي في مسيرة ضخمة جمعت أكثر من 15000 شخص. حدث ذلك في مدينة مونتريال. أما في باقي كندا الأنكلوفونية فلا شيء. ظل جورج بوش ممتد هناك".

أولاد الغيتو حكاية مجزرة أصبحت ماضيا وبقيت مستمرة

لا تسكن حكاية وضاح اليمن في عشقين وجنون إلاّ في صندوق الخليفة، ثمّ في جبّ القصر كما تقول المرويات، ليدفن السرّ، حاكتها مرويات عديدة، كما لو أنّ طاقة تفجيرية في العودة إليها أو إلى ما يشير إليها يكمن في الاسم والحكاية معا.

محمد المطرود

❑ أراد إلياس خوري في روايته الأخيرة "أولاد الغيتو/ اسمي آدم"، محاكاة حكاية وضاح اليمن الشهيرة كما أراد محاكاة متشائل إيميل حبيبي، لكنه وجد نفسه في مروية أخرى يؤرخ لمجزرة فلسطينية حقيقية، ويبرئ خوري نفسه من كونه صانعا متخيلا للشخصيات والأمكنة والوقائع، مؤكدا أنه المؤتمن سعيد الحظ على أوراق وصلته تسرد هذا العمل برواية حكائية، تتنقل بين أزمنة وأمكنة مختلفة تتوزع على فلسطين وبيروت وأميركا، وإنه بذلك يثوّر ذاكرة قارئه المنكوب، سليل "مجزرة اللد" فيما لو كان فلسطينيا، أو فيما لو كان عربيا إذا علم القارئ أنّ مفاصل الحكاية تنسحب على حال الكثيرين منهم.

الحزن في "أولاد الغيتو" الصادرة عن دار الآداب 2016، ليس ندما، لكنه ذاكرة، كما أنّ "الذاكرة ليست حنينا، بل وشما منغرسا في أعماقنا"، هذه شحنة احتفائية بالحنين، يمكن من خلالها تصيّد جمال بطل الرواية وهو يستعيد ذاكرته في شكل آخر، ويعود ليؤسس رؤيته للمجزرة مرة أخرى وأخرى.

آدم دنون (ابن الغيتو) هو بطل الحكاية، ومن البداية لنا أن نلاحظ ما للاسم من طاقة إحالية من حيث الولادة الأولى لمخيم يبزغ من النار ليبقى فيها، ويحيل بقدر كبير إلى تلمس رحلة الأنبياء وتعثرهم وانكساراتهم ومن ثم انتصاراتهم، غير أنّ الانتصار في حال بطل إلياس خوري في "أولاد الغيتو" ملتبس وغامض وربما فلسفي أكثر ممّا هو واقعي.

الحكاية تقدم الأحداث كما أنها الحقيقة على لسان ساردها، الذي يظهر مثقفا ومحملا مادة قراءته ورؤيته للحكاية التي أصبحت ماضيا وبقيت مستمرة، وإن كانت اللغة حكيمة ومأثورة فهي لا تدّعي ذلك، إنّما يلحظ مجيء المقولة متزنة ومضبوطة، بحيث لا يمكن الاقتطاع من الجمل المتواترة ومن أماكن لا على التعيين، فالقارئ سيعلم الدقة التي ارتاها الراوي أو صاحب الأوراق المنتحر، وهنا ستكون الأمانة أو التواطؤ بين الروائي وبطله يصل إلى حدّ التطابق في الإخلاص للحكاية/ الحقيقة والتاريخ من خلال المعرفة ووعي الذات.

يعتمد خوري على السردية الفلسطينية وتعقيداتها، لذا نجد الأحداث متشابكة في ما بينها، فإلى جانب اللغة التي تزاوج بين الشعرية والحكمة مشعرة قارئها بوعي الرواة ومعرفتهم لمآلات الكارثة التي مازالت مستمرة، يصبح من المتعذر تلخيص الحيوات المتصارعة في حياة الراوي، وتبقى الشخصية الرئيسية آدم بما يحيط به من منال، أمّه غير البيولوجية، إلى أبويه غير البيولوجيين، أحدهم عابر يأتي ذكره كزوج أمّ، بينما الثاني مأمون الأعمى يدخل الحياة كشاهد عليها، وما إغماضة عينيه عن البصر إلا تفتيح للبصيرة ولذاكرة آدم التي ارتضت الخمول لصالح الرضا بالقسمة الفلسطينية خلاصا من الفلسطيني المعطوب في غيتو اللد/ وارسو.

يحاول صاحب "باب الشمس"، والتي قد تكون حكاية الغيتو تكملة لها، إدراك رائحة المخيم بما أشاعته همجية الإسرائيلي وهو يحوّل الأرض إلى جحيم، ليصنع من الكذبة والأسطورة التي تتقاطع فيها الشعوب رواية تاريخية تخصه.

إنّ التشظي الهوياتي للبطل بل لمجموع الشخوص، إذا عرفنا إن إحدى الثيمات الأخرى المعززة لوعي الرواية هو توزع البطل على أبطال وما آدم المحتفى به كوليد أول للمخيم ودوران أسمائه في فلك نسبته إلى أبيه زوج أمه منال حسن دنون الشهيد، وحمله لهذا المجد الذي لا يرفضه ولكنه يجده ثقيلا أو حمله لاسم ناجي بوصفه الناجي من مجزرة قضت فيها أمه تحت شجرة زيتون، بينما بقي ضرعها في فمه إلى حين العثور عليه. هذا الالتباس النَسبي، خلق هويات عدة للبطل وما محاولاته في ما بعد في إيجاد حكايته ليقصّها وعدوله عن قصة وضاح اليمن أو محاكاته لإميل حبيبي وإدوارد سعيد ودرويش والشاعر راشد حسين باختياره مصيرا يشبه مصيره محترقا بعيدا، ما كل ذلك إلا محاولة بناء هوية جديدة، تعيد رسم القصة من جديد، ليس بالظاهر فيها والعلني وبالروايات المتضاربة والتي استطاعت إسرائيل تعمية الجزء الأكبر منها لصالح أكذوباتها وتواطؤ العالم معها تحت هول "مظلوميتها" المزوّرة، فرسم السرد ما هو مخفي بتلك المساحات الصامتة والفواصل التي لم تلق اهتماما لكنها كانت الأهم حين يغيب المؤرخ.

إلياس خوري في روايته يؤرخ ببطله وحدثه الفلسطيني ووعي بطله في ما يخص الذاكرة وأيضا الحنين والعطب اللذين يصيبانها، ويشكل ذاكرة لا ترتد للماضي بقدر ما هي مستشرفة للحال العربية وثوراتها المقموعة في أكثر من بلد، ربّما تكون سوريا المثال الأكثر فتكا ضمنها.

النقد الفلسفي

❑ **عمّان** – صدر عن الآن ناشرون في عمّان أحدث كتب الباحث والناقد زهير توفيق "النقد الفلسفي: من الإصلاح إلى التغيير ومن النقد إلى التقويض". يمثل هذا الكتاب عرضا تحليليا لطبيعة النقد الفلسفي، وعلاقته بمشروع التغيير، أو ما يسمى بالمشروع النهضوي تارة، والمشروع الحضاري تارة أخرى.

وقد اتخذ هذا المشروع من التغيير والتقدم قضية مركزية، تتفرع عنها القضايا والإشكاليات الأخرى التي يدور حولها الفكر العربي الحديث والمعاصر، لتحديد عوامل تعثر مشروعه بسبب غياب النقد الفلسفي بوصفه قاعدة معرفية لا بدّ منها لحماية المشروع من عوائقه المعرفية والاجتماعية التي ألمّت به، كالانتقائية والتلفيق والتجريبية والنماذج القياسية القديمة.

يقع الكتاب في 187 صفحة، قسّمه المؤلف إلى ثمانية فصول تناولت؛ طبيعة النقد الفلسفي والتاريخ والنقد الفلسفي، والنقد الفلسفي والتغيير، والعرب والنقد الفلسفي، والاتجاهات المحافظة في النقد الفلسفي، وموضوعات النقد الفلسفي، وتركيبه، وفصلا بعنوان الوضعية والنقد الفلسفي.

لمراسلة المحرر
culture@alarab.co.uk